التناسب القائم على الحذف والذكر عند السيوطي

الباحث/ مدحت رجب محمد مندوه

الملخص:

إن دراسة التناسب البلاغي بين السور والآيات في مؤلفات السيوطي، وإبراز أوجه الترابط والانسجام بين السور والآيات ومتعلقاتها التي تطرق السيوطي للحديث عنها في ثنايا مؤلفاته التنظيرية والتطبيقية واختيار المناسبة ركيزة لهذا البحث مما يجعل الباحث يعيش مع النص القرآني بدقة عالية ، موضحا الترابط بين سوره وآياته، والتناسب البلاغي في مؤلفات السيوطي القائم على الذكر والحذف في القرآن الكريم، حيث تناولت الشواهد التي ذكرها السيوطي في كتبه البلاغية أو في علوم القرآن بالدراسة والتوضيح موضحًا المناسبة من إيراد الذكر أو الحذف في سياقهما ، وتنوعت شواهد السيوطي التي ذكرها في ثنايا كتبه لتشمل جميع أنواع الذكر والحذف سواء كان حذف أذكر المسند أو المسند إليه ، وتنوعت القيمة والفائدة البلاغية من الذكر والحذف ، وكذا المناسبة من مجيئهما في سياقهما ، ونخلص من خلال هذه الدراسة إلى أن السياق يستدعي الحذف لمناسبة بلاغية ، وفائدة ، في الوقت الذي لا داعي للذكر فيه ، وكذلك بعض السياقات يأتي الذكر للحاجة إليه ، ولاقتضاء السياق لذلك ، " والأصل في الكلام الذكر، ولا يحذف منه شيء إلا بدليل، سواء أمعنويًا كان الدليل أم صناعيًا، وسواء دلت عليه قرينة لفظية أم دلت عليه قرينة المقام."[1]

الكلمات الدالة: الذكر – الحذف – التناسب البلاغي – السيوطي.

(١) الجملة العربية تأليفها وأقسامها :د/ فاضل صالح السامرائي ص: ٨٢، دار الفكر ناشرون وموزعون – الأردن، ١٤٢٧ ه.

A Research Summary:

The study of the rhetorical proportionality between the surahs and the verses in Al-Suyuti's writings,and highiighting the aspects of interdependence and harmony between the surahs and the verses and their related matters that Al-Suyuti touched on in the hadith.About it in the folds of his theoretical and applied writings and choosing the appropriate basis for this research,which makes the researcher live with the Qur'anic text with high accuracy,explaining the interconnection between its surah and its verses.And rhetorical proportionality in the works of Al-Suyuti based on dhikr and deletion in the Holy Qur an. It dealt with the evidence mentioned by Al-Suyuti in his rhetorical books or in the sciences of the Qur'an: study and clarification,explaining the appropriateness of mentioning the dhikr or deletion in their context, and the evidence of Al-Suyuti that he mentioned in the folds of his books varied to include all types of dhikr and omission, whether it was the omission of mention the predicate or the ascribed to it, and the value varied And the rhetorical benefit of mentioning and deletion, as well as the occasion of their occurrence in their context, and we conclude through this study that the context calls for deletion due to a rhetorical occasion and benefit, at a time when there is no need to mention it, as well as some contexts mentioning comes to the need for it, and to require the context for that,Otherwise,the origin of speech is dhikr, and nothing is omitted from it except with evidence, whether it is moral or artificial, and whether it is denoted by a verbal presumption or denoted by a denominative presumption

مقدمة:

الحمد لله حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ أما بعد:

أنزل الله كتابه العظيم على نبيه الكريم– صلى الله عليه وسلم – بلسان عربي مبين؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، بأبلغ كلام وأدق أسلوب وأوضح معن، تنوعت أساليبه، وعباراته، فيرد الذكر لأغراض بلاغية وللتوضيح والحاجة إليه في سياقه كالتوضيح أو التشهير والتعريض ، ويرد الحذف لأغراض بلاغية يستدعيها السياق ويفهمها القارئ والسامع كالإيجاز والاختصار أو الخوف ، وتنوعت أساليب الحذف والذكر في القرآن الكريم ؛ ما بين حذف أو ذكر المسند والمسند إليه ، وتنوعت معهما النكات البلاغية والذي يحكم وردهما هو سياق الكلام في الآيات أو السورة، وتناول السيوطي هاذين الأسلوبين بالبحث والدراسة والاستشهاد في ثنايا كتبة البلاغية أو كتبه التي ألفها في علوم القرآن ، فجاءت شواهدها شاملة لكل أنواع الحذف والذكر ، موضحًا ومعلل أسباب الذكر والحذف، والمناسبة في سياقهما.

والسيوطي من خلال ذكره للشواهد الدالة على الذكر والحذف نجده يستنطق النص، ويُعمل العقل متأملا الآيات، مستنبطًا النكتة أو الفائدة البلاغية من الذكر أو الحذف مبيناً المناسبة من ورود الذكر أو الحذف في السياق.

التناسب القائم على الحذف والذكر:

المطلب الأول: التناسب القائم على الحذف:

الحذف لغة: " جاء في محيط اللغة الحذف هو قطع الشيء من الطرف كحذف ذنب الدابة، والحذف الرمي عن جانب والضرب عن جانب حذفه بالسيف يحذفه حذفا وحذفني فلان بجائزة أي وصلني" (١) ، قال الزمخشري: " أن الحذف هو القطع والرمي ومنه حذف ذنب فرسه إذا قطع طرفه... وحذف رأسه بالسيف ضربه فقطع منه قطعة. وحذف الأرنب بالعصا رماها بها. يقال: الحذف بالعصا والحذف بالحصى." (٢) ، وجاء في لسان العرب في باب الحذف أن " حذف الشيء يحذفه حذفًا، أي قطعه من طرفه .....، والحجام يحذف الشعر من ذلك والحذافة ما حذف من الشيء فطرح " (٣)

واصطلاحًا: "إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل" (٤)

ويقوم الحذف في اللغة العربية على دليل، وإلاَّ فهو ضرب من العبث، " وقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف، والحركة وليس شيء في ذلك إلا عن دليل وإلا كان فيه ضرب من التكليف والعبث" (٥)

وتكمن القيمة البلاغية في الحذف إذ أنه " باب دقيق المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن.... وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر. " (٦) فبين أن جمال الحذف يظهر بالتأمل في النص لإدراك المحذوف وتذوق جماله؛ لأن البلاغة هي الإيجاز، رغم أن الحذف خلاف الأصل وهو الذكر.

ومن فوائد الحذف: " التفخيم والإعظام؛ لما فيه مِنَ الإبهام، لذهاب الذهن فيها كل مذهب وتشوقه إلى ما هو المراد، ومنها: زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشدَّ وأحسن ومنها زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك، ومنها: طلب الإيجاز، والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في

(١) المحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عباد، ص: ٦١، تح/ محمد حسين الياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان ط ١، ١٩٨٨.
(٢) أساس البلاغة، الزمخشري أبو القاسم بن عمر بن محمد الخوارزمي، (ت ٥٣٨ هـ)، ١١٨/١.
(٣) لسان العرب، لابن منظور، ٨١/٣.
(٤) البرهان في علوم القرآن، ٦٧/٣.
(٥) يُنظر: الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن حني، تح/ محمد بن علي النجار، ٣٩٠/٢، الهيئة المصرية، ط ٢ .
(٦) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: ١٦٣.

اللفظ القليل، ومنها: التشجيع على الكلام، ومنها موقعه في النفس في موقعه على الذكر."[١]

أولا: حذف المسند إليه:

"المسند إليه ركن الجملة الأساسي، وإذا كان ذكر أي لفظ دال في الكلام على أمر لا محيد عنه ابتغاء الإفادة التامة، فإن ذكر المسند إليه أمر واجب، ولا يحذف ما لم يكن ثمة قرينة تدل عليه عند الحذف، ويلحظ في أساليب البلغاء ترجيح الذكر في بعض المواطن رغم وجود القرائن الدالة على المسند إليه المحذوف "[٢].

١- حذف المبتدأ:

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [٣] ، جاء في هذه الآية حذف المبتدأ، وتقدير الكلام (هم صم)، ومناسبة الحذف صيانة للسان عن ذكر المنافقين تحقيرا لهم، قال السيوطي: " ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ الآية، فيه حذف المبتدأ :أي هم أو المنافقون صيانة للسان عن ذكرهم "[٤] ، و﴿ صُمٌّ ﴾ خبر عن مبتدأ محذوف تقديره "هم" أو "المنافقون"؛ لأن الآية استكمال للآيات العشر التي قبلها في الحديث عن صفات المنافقين، وذكر شيء من شؤونهم، بأنهم باشترائهم الضلالة بالهدى لم يكونوا للهدى والحق مهتدين، بل ﴿ صُمٌّ ﴾ عن السماع النافع الموصل إليهما، و﴿ بُكْمٌ ﴾ عن النطق بهما، و﴿ عُمْيٌ ﴾ عن أن يبصروهما فيعقلوه وهما ، وما دامت الآية متممة للحديث عن المنافقين فلا داعي لذكر المسند إليه: "هم أو المنافقون"؛ وذلك صيانةً للسان عن ذكرهم واحترازًا عن الإطالة؛ لوضوحه، وقُرب ، وطهارة للسان عن ذكرهم ، فهي أخبار متباينة في اللفظ والدلالة الوضعية، ولكنها في موضع خبر واحدٍ ؛ إذ يؤول معناها كلها إلى عدم قبولهم الحق، وهم سمعاء الأذان، فصح الألسن، بصراء الأعين، فعدم سماعهم الحق وعدم النطق به؛ أدى إلى عدم الحديث عنهم "[٥]

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ٢/٦٨-٦٩.

(٢) المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب ، ص: ١٠١، -١٠٢، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤١٧ هـ

(٣) البقرة/ ١٨.

(٤) قطف الأزهار في كشف الأسرار، ١/١٩٩.

(٥) ينظر: جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، للعلامة الشيخ عبدالقادر بن أحمد بدران، ص: ٨٤، تح/ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م. و المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبدالفتاح لاشين، ص: ١٥١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠—١٤٢٠ ه.، و يُنظر: بغية الإيضاح، ١/٥٨، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، أستاذ بجامعة الإمام ٣٠٤/١، مطبعة حسان.

ومنه قولـــه تعـــالى:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

قال السيوطي: " ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾الآية ، وفي الكلام حذف؛ أي: قلوبكم لا تلين ولا تخشع ولا تخشى " (٢)وحذف المسند إليه في الآية السابقة إيجازًا واختصارًا و لدلالة السياق عليه في الجملة السابقة عليه في قوله تعالى : ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ الآية ، فلم يـــذكر اجتنابًا للتكرار والتطويل ، وللدلالة – أيضًا – شدة قسوة قلوبهم حتـــى صـــارت أشـــد قساوة من الحجارة ذاتها .

حذف الفاعل:

ومنه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ﴾ (٣) ، قال السيوطي:"﴿ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ﴾ ‘الآية ، فيه حذف ؛ أي الماء الذي يخرج منه الأنهار " (٤)وتقدير الكلام " وإن من الحجارة حجـــارة يتفجر منها الماء الذي تكون منه الأنهار، فاستغنى بذكر الأنهـــار عـــن ذكـــر المـــاء"(٥) والسياق ليس سياق تطويل في الكلام ، فحذف الفاعل ليتناسب مع هذا السياق الذي هدفـــه أن يفهم المخاطب " أن قلوب هؤلاء جاسية صلبة لا تلينها المواعظ، ولا تتأثر للزواجـــر، وإن من الحجارة ما يقبل التخلخل، وأنها متفاوتة في قبول ذلك، على حسب التقسيم الذي أشار إليه تعالى ونتكلم عليه. فقد فضلت الأحجار على قلوبهم فـــي أن منهـــا مـــا يقبـــل التخلخل، وأن قلوب هؤلاء في شدة القساوة." (٦)

ومنه قوله تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٧) ، قال السيوطي: " قال أبو حيان: " قولـــه﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾الآية ، مبنيٌّ للمفعول– وكذا أمثاله من المكتوبات– وحُذف الفاعل للعلم بـــه؛ إذ هو: الله تعالى–؛ لأنَّها مشاقٌّ صعبةٌ على المكلَّف، فناسَب أنْ لا تُنسب إلى الله – تعالى– ، وإنْ كان الله تعالى هو الذي كتَبها، وحين يكون المكتوبُ للمكلَّف فيه راحةٌ واستبـــشار

(١) البقرة /٧٤.
(٢) قطف الأزهار في كشف الأسرار، ٢٧٥/١.
(٣) البقرة /٧٤.
(٤) قطف الأزهار في كشف الأسرار، ٢٧٥/١.
(٥) المحرر الوجيز، لابن عطية، ٤٢٥/١.
(٦) البحر المحيط، أبو حيان، ١ /٤٢٥.
(٧) البقرة / ١٨٣.

يُبنى الفعل للفاعِل، كما في قوله:﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ (١)، وقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾(٢) ، وأمثالها، وهذا من لَطيف عِلم البيان " (٣)

ثانيًا: حذف المسند:

" يُحذف المسند عند قيام القرينة، ولهذا الحذف مزايا؛ أهمها: وجازة العبارة وامتلاؤُها، ثم ترويقها وتصفيتها وصيانتها، ثم بناؤُها على إثارة الحس والفكر؛ حيث يُعول على النفس والخيال في ملء جزء المعنى الذي لم يذكر لفظ دال عليه، ووراء كل ذلك سر خاص به"(٤).

١- حذف الخبر:

ومنه قوله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٥)

قال السيوطي: "﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾الآية ،والخبر محذوف؛ أي: يشهدون " (٦)

ومنه قوله تعالى: " ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (٧) ، قال السيوطي" حذف المسند أي فصبر جميل أجمل" (٨)، ومناسبة الحذف في هذا السياق " لضيق المقام والضجر" (٩)

٢- حذف الفعل:

منه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٠)

قال السيوطي: " و﴿وَإِذْ ﴾الآية، منصوب بـ "واذكر" ومقدراً، للتصريح به في عدة مواضع " (١١)فحذفُ المسند في هذه الآية لمناسبة الدلالة على ذكره في مواضع أخرى، أو لوجود قرينة (١٢) " لفظية منفصلة " (١٣) كما في قوله تعالى:﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ

(١) الأنعام/ ٥٤.
(٢) المجادلة/ ٢١.
(٣) قطف الأزهار في كشف الأسرار، ٣٩٣/١.
(٤) يُنظَر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد أبو موسى، ص: ٢٧٢.
(٥) آل عمران/ ١٨.
(٦) قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي، ٥٧١/١.
(٧) يوسف/ ١٨.
(٨) شرح عقود الجمان، للسيوطي، ص: ٩٩.
(٩) السابق.
(١٠) البقرة /٣٠.
(١١) قطف الأزهار في كشف الأسرار، للسيوطي، ٢٢٦/١.
(١٢) " اللفظ الذي يدل على المعنى ولولاه لم يتضح المعنى " الجملة العربية والمعنى (ط. ابن حزم) فاضل صالح السامرائي ص: ٦٠ ، دار ابن حزم ، ١٤٢١ – ٢٠٠٠
(١٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٢١٥/٢

قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ (٢) فقد حذف الفعل (اذكر) " استغناء عنه بدلالة المذكور في مواضع أخرى من القرآن " (٣)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (٤)

قال السيوطي: " قرئ بفتح الخاء على الخبر، وهو متصل بما قبله وما بعده، وبكسرها على الأمر، فقيل على تقدير: وقلنا اتخذوا." (٥) ؛ وذلك ليناسب قوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَا ﴾ الآية، " (٦)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٧)

قال السيوطي: " ﴿ ۖ فَانفَجَرَتْ ﴾ الآية ، فيه حذف ، أي فضرب ، فانفجرت ، أشير بحذفه ، وبفاء الفصيحة إلى الدلالة على أن المأمور لم يتوقف عن اتباع الأمر ، فظهر أثره في الحال وعلى أن المطلوب من المأمور به الانفجار لا الضرب " (٨)

يفهم من كلام السيوطي أن مناسبة حذف الفعل هو سرعة الاستجابة والإيجاز والاختصار، والاكتفاء بذكر المسبب الذي هو الانفجار، وحذف السبب الذي هو الضرب " لما فيه من الإشارة إلى باهر القدرة في سرعة الإجابة، ووقوع الامتثال" (٩)؛ ولدلالة الفعل ﴿ اضْرِب ﴾ عليه في أول الآية . قال الزمخشري : " إن الفعل حذف هنا للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لاحاجة إلى الإفصاح به " (١٠)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (١١)

---

(١) الأعراف/ ٨٦.

(٢) الأحقاف/ ٢١.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، ١٩٦/٢.، وينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د/طاهر سليمان حمودة، ص: ٢٦٢-٢٦٣، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ م

(٤) البقرة/ ١٢٥.

(٥) قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي، ٣٢٢/١.

(٦) الأثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن الكريم، زهراء ميدي حمادي، ص: ٧٥، جامعة الكوفة، بغداد، العراق، ٢٠٠٩ م.

(٧) البقرة/٦٠.

(٨) قطف الأزهار في كشف الأسرار ،٢٨١/١٠.

(٩) ينظر: الطراز للعلوي، ١٣٣/٣. والإيضاح، ١٩٢/٣.

(١٠) الكشاف للزمخشري، ١٦٩/٢.

(١١) البقرة/ ٨٣.

قال السيوطي: " ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الآية، على تقدير: وأحسنوا. وقدم الوالدين للاهتمام" [١] ففي هذ الآية حذف الفعل ومع حذفه تحذف معه دلالته على التجدد والحدوث ليبقى معموله الاسم، وتكون مناسبة الحذف للمسند هي الدلالة على قصد الثبوت والدوام على دوام الإحسان للوالدين وثبوته في كل الأحوال حتى وإن كانوا كفاراً؛ " فـ الإحسان إليهما هو ألا يؤذيهما البتة ويوصل إليهما من المنافع قدر ما يحتاجان إليه ٠ واتفق أكثر العلماء هو ألا يؤذيهما البتة ويوصل إليهما من المنافع قدر "[٢]

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [٣]

قال السيوطي: " ﴿ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ ﴾ الآية ، مضمر الفعل فيما ذكر كمظهره ولهذا قالوا: إن سلام الخليل أبلغ من سلام الملائكة حيث:﴿ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ ﴾ فإن نصب " سلامًا " إنما يكون على إرادة الفعل أي سلمنا سلامًا ، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم إذ الفعل متأخر عن وجود الفاعل بخلاف سلام إبراهيم فإنه مرتفع بالابتداء فاقتضى الثبوت على الإطلاق وهو أولى مما يعرض له الثبوت فكأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوة به." [٤] فحذف المسند لمناسب وجود قرينة لفظية تفهم من السياق والتركيز على إظهار إرادة الفعل وهو التسليم.

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٥]

قال السيوطي: "﴿ كَلِمَٰتٍ ﴾ الآية، في الآية حذف؛ أي: فقالها؛ فتاب عليه" [٦] ومناسبة حذف الفاعل في هذا السياق هو الإيجاز والاختصار، ودلالة السياق على المحذوف؛ لأن تلقي الكلمات يتبعه أخذ بالقول والعمل والقبول، وهذا ناتج عن توفيق من الله، يقول أبو السعود: " أي؛ استقبلها بالأخذ؛ والقبول؛ والعمل بها؛ حين علمها؛ ووفق لها " [٧]

(١) قطف الأزهار في كشف الأسرار ،٢٨١/١٠.
(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٨٦/٣.
(٣) هود/ ٦٩.
(٤) الإتقان، ٣٧٨/٢.، ومعترك الأقران، ٤٩٦/٣.
(٥) البقرة/٣٧.
(٦) قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي، ٢٣٥/١.
(٧) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٩٢/١.

المطلب الثاني: التناسب القائم على الذكر:

الذكر في اللغة: (الحفظ لشيء تذكره، والذكر– أيضًا: جري الشيء على لسانك وقد تقدم أنَّ الذِّكر لغةً في الذكر، ذكره يذكره ذكرا وذُكرا " [١].

وفي الاصطلاح:" هو ما تقوم عليه القرينة وهو الأصل في الكلام لما يضيفه من تثبيت للمعنى وتوطيد له في النفس، ويكون ذكره فضلا عن ذلك معاني لا تستفاد إذا حذف، هكذا اتفق المعنيان وتجاوب معًا." [٢]، "والأصل في الكلام الذكر، ولا يحذف منه شيء إلا بدليل، سواء أمعنويًا كان الدليل أم صناعيًا، وسواء دلت عليه قرينة لفظية أم دلت عليه قرينة المقام."[٣]

أولا: التناسب القائم على ذكر المسند إليه:

"المسند إليه ركن الجملة الأساسي، وإذا كان ذكر أي لفظ دال في الكلام على أمر لا محيد عنه ابتغاء الإفادة التامة، فإن ذكر المسند إليه أمر واجب، ولا يحذف ما لم يكن ثمة قرينة تدل عليه عند الحذف، ويلحظ في أساليب البلغاء ترجيح الذكر في بعض المواطن رغم وجود القرائن الدالة على المسند إليه المحذوف "[٤].

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [٥] ، قال السيوطي: " وفي تكرير ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح، فجعلت كل واحدة من الأثرتين، أي الاختصاصين في تميزهم بها من غيرهم، بالمثابة التي لو انفردت، كانت متميزة على انفرادها. وأعيد العاطف، لاختلاف الخبرين"[٦]. وكذلك " ومنها زيادة الإيضاح والتقرير " [٧]؛ وليتناسب مع مضمون وسياق الآية ، وهو الثناء على المتقين ، والإشارة إلى علو منزلتهم وإظهار مزيدا من العناية بشأنهم ،" وفيه دَلالةٌ على أنَّ كُلًّا من الهدى والفلاح مستقلٌّ بتميزهم به عن غيرهم، بحيث لو انفرد أحدُهما لكفى تميزًا على حياله" [٨]

ومن قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [٩] ،الشاهد قوله تعالى: " ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾، الآية ، قال السيوطي معلقا

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة (ذكر)، ٢٨٠/٤.
(٢) من بلاغة القرآن، د أحمد بدوي، ص ١١٨، دار النهضة مصر، من صحيفة المثقف، ١٩٨٧ م.
(٣) الجملة العربية تأليفها وأقسامها ·د/ فاضل صالح السامرائي ص: ٨٢، دار الفكر ناشرون وموزعون – الأردن، ١٤٢٧ ه.
(٤) المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب، ص: ١٠١، –١٠٢، الإمارات العربية المتحدة، ط١ ،١٤١٧ هـ
(٥) البقرة /٥.
(٦) قطف الأزهار في كشف الأسرار، ١٧٧/١.
(٧) شرح عقود الجمان، ص: ٦٧.
(٨) يُنظر: البحر المحيط، لأبي حيان، ٧٤/١، فتح القدير، للشوكاني، ٤٤/١.
(٩) طه/ ١٨

على الآية ومبيناً النكتة البلاغية والمناسبة من ذكر المسند إليه ﴿هِيَ﴾ ، حيث كان من الممكن أن يقول : عصاي ، – بقوله : " ومنها بسط الكلام حيث يطلب طول المقام استعذابًا له ؛ ولذلك زاد على الجواب بقوله: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ الآية " [1] و "الأسلوب أسلوب من يعجب من الاحتياج إلى الأخبار" [2] ، يضاف إلى ذلك أن السياق يدل على سيطرة الخوف والرهبة على موسى – عليه السلام – من مواجهة فرعون ، فيبسط الكلام استئناسًا بحديثه مع رب العالمين .

ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [3] الشاهد قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ ﴾ الآية ، قال السيوطي : "، ذُكِر الجمل؛ لأنه أعظم الحيوان جثة بالنسبة إلى ما تعرفه العرب، وسمّ الخياط ؛ لأنه يضرب به المثل في ضيق المسلك " [4]. ومناسبة ذكر الجمل والمجيء به في هذا السياق – وهو سياق " نفيٌ مُغيًّا بمُستَحيلٍ؛ وهو أن يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ " [5] ، " أن الكفار لا يدخلون الجنة أبدا حتى يلج الجمل في خرم الإبرة، والجمل لا يدخل في خرم لإبرة أبدًا، فهم لا يدخلون الجنة أبدًا، لأن تعليق الشرط على مستحيل يلزم منه استحالة وقوع المشروط" [6]"

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [7]

قال السيوطي: " ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ﴾ الآية، حُصَّت هذه المواضع بالكي لأنها في الجبهة أشنع وفي الجنب والظهر أوجعُ، وقيل: لأنها مُحوَّفة، فيصل إلى أحوافها الحر، بخلاف اليد والرجل " [8]. جاء التعداد لمواضع الكي مبالغة في التنكيل وزيادة في الألم ، وشمولًا لمواضع التيه والكبر والتعالي على الناس ، فكان الذكر مناسب في سياقه اختصاص هذه الأعضاء بالذكر؛ " لأنهم لم يطلبوا بأموالهم – حيث لم ينفقوها في سبيل الله– إلا الأغراضَ الدنيوية، من وجاهة عند الناس، وتقدّم، وأن يكون ماء وجوههم مصوناً عندهم، يتلقون بالجميل، ويحيون بالإكرام، ويبجلون

(١) شرح عقود الجمان، ص: ٦٧.
(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٢٠٦/١٦.
(٣) الأعراف/ ٤٠.
(٤) قطف الأزهار في كشف الأسرار، ٩٩٩/٢.
(٥) البحر المحيط، لأبي حيان، ٥١/٥.
(٦) يُنظر: إعراب القرآن وبيانه، للدرويش، ٣٥١/٣.
(٧) التوبة/ ٣٥.
(٨) قطف الأزهار في كشف الأسرار، ١١٤٧/٢.

ويحتشمون، ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم، ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم ... وقيل: لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإياه مجلس زوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم "[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [2]

نقل السيوطي عن السكاكي، وصاحب الإيضاح والزمخشري أن المسند – لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ – ذكر؛ ليفيد التخصيص " [3] وكذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا ﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [5]." [6] وإفادة التخصيص مناسب لسياق الآيات؛ ف (ٱللَّهُ) هو الذي يبسط الرزق، ومنزل الكتاب ، وهو يقول الحق ويهدي السبيل .

ثانيًا: التناسب القائم على ذكر المسند.

ومن شواهده قوله تعالى: " ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [7] ، قال السيوطي: "﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الآية، وخص الهدى بالمتقين؛ لا نتفاعهم به؛ كقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾ [8]، فخص الهدى بالمتقين؛ وذلك لانتفاع الضالين من آثارهم ، والمقتبسون من أنوارهم ، لذا خصصوا بالذكر "[9]، ناسب ذكر المسند في سياقة؛ وهو سياق تخصيص وتفخيم وتعظيم لهدي القرآن، وأنه هدى للمتقين.

ومنه قوله تعالى: "﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[10] ، قال السيوطي: " ﴿ فَيَعْلَمُونَ ﴾ الآية، في ذكر العلم مدحة للمؤمنين " [11] ، وذُكر المسند في الآية مناسبا في سياقه، وهو سياق ضرب الأمثال للناس؛ التي يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنها الحق من ربهم، فتزيدهم إيمانا؛ لعلمهم بأنها صدق وحق من الله، فكان جزاؤهم المدح والثناء من الله بأنهم يعلمون أنها الحق

(١) الكشاف، للزمخشري، ٢٦٨/٢.
(٢) الرعد/٢٦.
(٣) الإتقان في علوم القرآن، ١٧٢/٣-١٧٣.
(٤) الزمر/ ٢٣.
(٥) الأحزاب/ ٤.
(٦) الإتقان في علوم القرآن، ١٧٢/٣-١٧٣.
(٧) البقرة/ ٢.
(٨) النازعات/ ٤٥.
(٩) قَطْف الأزهار في كشف الأسرار، للسيوطي، ١٧٧/١.
(١٠) البقرة/ ٢٦.
(١١) قطف الأزهار، للسيوطي ٢٢٢/١

من ربهم، هذا بخلاف الذين كفروا فلا تزيدهم إلا ضلالًا، لذا ناسب ذكر المسند في سياقه، ويهديهم الله بها، ويَضلّ بها الفاسقون.

ومنه قوله تعالى:"﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

قال السيوطي: " وإنما خص المشركين بالذكر مع دخولهم تحت الناس؛ لشدة حرصهم على الحياة، وتوبيخا لليهود؛ لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة، ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا، فحرصهم عليها، غير مستبعد؛ لأنها جنتهم، فإذا زاد اليهود عليهم وهم معترفون بالعاقبة، والبعث والجزاء، كانوا جديرين بأعظم التوبيخ" (٢) ، وخص المشركين بالذكر بعد ذكر عامة الناس ، وهذا من باب ذكر الخاص بعد العام ، وهو مناسب في هذا السياق ؛ وهو سياق توبيخ وتقريع لليهود – وهم أصحاب العقيدة ، وأُنزِل عليهم التوراة– على حبهم للدنيا وحرصهم عليهم دون الآخرة والعمل لها " (٣).

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٤)

قال السيوطي: " ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾الآية ، ذكر الخشية دون الخوف؛ لأن الخشية حذر من أمر قد وقع، والخوف حذر من أمر لم يقع " (٥). جاء ذكر المسند مناسب في سياقه؛ لإفادة أن الخشية تكون من الله ولله؛ لأن قدر الله قد خُطَّ في اللوح المحفوظ، فهو في حكم أمر قد وقع على العباد، وهذا ما يبعث في النفس السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين، وأن خشية الله عليها الأجر والثواب، وهذا بخلاف خشية الناس.

قالت بنت الشاطئ: " الفائدة من ذكر المسند في هذه الآية هي تخصيص الخشية بالذكر دون الخوف؛ لأن الخشية تكون عن يقين صادق بعظمة من نخشاه؛ ولأن الخشوع أيضا انفعال صادق بجلال من نخشع له، عجيب أمر هذا البيان المعجز في اطراد نسقه ولطف دلالته وباهر أسراره، كل خشية فيه، على اختلاف صيغها، لا تكون إلا في الحياة الدنيا، لا في الآخرة؛ إذ الدنيا هي مجال الابتلاء، وإذا تعلقت الخشية في القرآن بأمر يُخشى، فإنه الغيب، والساعة، واليوم الآخر. وأما إذا تعلقت بذات لا بأمر؛ فإنها في

(١) البقرة/ ٩٦.
(٢) قطف الأزهار، للسيوطي ٢٩٢/١.
(٣) يُنظر: البحر المحيط، لأبي حيان، ٥٠٢/١-٥٠٣.، وإعراب القرآن وبيانه، للدرويش، ١٥١/١.
(٤) البقرة/ ١٥٠.
(٥) قطف الأزهار في كشف الأسرار، للسيوطي ٣٤٧/١.

تقدير القرآن، لا تكون إلا الخشية الله وحده، دون أي مخلوق، فكل خشوع في القرآن إنما هو الله تعالى هذه الأمور التي تفرق الخشية عن الخوف، في حين أن الخوف حذر من أمر لم يقع" (١)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (٢)

جاء ذكر المسند ﴿ وَيُهْلِكَ ﴾ – مناسب في سياقه – بعد ذكر الإفساد في الأرض في قوله: ﴿ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ ؛ وهو ذُكر الخاص بعد العام ، وزيادة في التخصيص ؛ حيث الإفساد في الأرض عام ، وإهلاك الحرث والنسل من ذكر الخاص ،" و هو داخل في الإفساد، خص بالذكر؛ لأنه أعظم ما يحتاج إليه في عمارة الدنيا " (٣).

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٤)

الشاهد فيه قوله تعالى:﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ ﴾الآية ، وهو تخصيص ذكر المسند﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ ﴾ وقد ناسب ذكره في سياقه– وهو سياق توبيخ وتقريع لهؤلاء الذين بدأوا الاختلاف والانحراف عن منهج الله – " تنبيهًا على شناعة فعلهم؛ ولأن غيرهم تبع لهم، فهم أصل الشر، وأتى ب ﴿ مِنۢ ﴾ الدالة على ابتداء الغاية تنبيهًا على أن اختلافهم متصل بأول زمان مجيء البينات، لم يقع منهم اتفاق على شيء بعد المجيء، بل بنفس ما جاءهم البيئات اختلفوا، وذلك أشنع عليهم، حيث رتبوا على الشيء خلاف مقتضاه " (٥)

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (٦)

---

(١) يُنظر: الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية د. عائشة عبد الرحمن، ص: ٢٢٦، ط ١، مكتبة الدراسات القرآنية، دار المعارف.

(٢) البقرة/ ٢٠٥.

(٣) قطف الأزهار في كشف الأسرار، للسيوطي ٤٣٧/١.

(٤) البقرة/ ٢١٣.

(٥) قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي، ٤٤٦/١. وينظر: تفسير البحر المحيط، ٣٧٦/٢

(٦) آل عمران/ ٥٥ – ٥٦.

الشاهد قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾الآية ، وهو ذكر المسند، واختصاصهم بالذكر مناسب في سياقه ؛ لأنهم المقصودين والمعنيين بقتل عيسى – عليه السلام – فكان ذكرهم ضرورة في توبيخهم وفضحهم وتشنيعًا بفعلهم .

قال السيوطي: "﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾الآية ، الآيتان بيان للاختلاف، والحكم للجملتين في الآية الأولى، وبدأ بقسم الكفار؛ لأنهم أقرب في الذكر من قوله :﴿ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ الآية ؛ ولأن الكلام فيمن كفر بعيسى، ورام قتله ، فكانوا أهم " [1] وذكر الذين كفروا ضرورة في هذا السياق؛ لأنهم في سياق " تفسيرٌ للحكم الواقعِ بين الفريقين وتفصيلٌ لكيفيته والبدايةُ ببيانِ حالِ الكفرة لما أنَّ مساقَ الكلامِ لتهديدهم وزجرِهم عمَّا هُم عليهِ من الكفر والعِناد " [2]

قال تعالى : ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [3]

قال السيوطي: "﴿ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾ الآية، وبُدئ بالعمى؛ لأنه أول ما يعرض للمعرض عن الشرائع ألا يبصر من أتاه بها من عند الله، ثم يعرض له الصمم عن سماع كلامه " [4] وذكر العمى والصمم يتناسب مع سياق الآية ، وهو بيان إعراضهم عن الهدى ، فأصيبوا بالعمي، فلم يبصروا طريق الهداية، وأصيبوا بالصمم فلم يسمعوا للحق ، و" الجمع بين العمى والصمم جمع في الاستعارة بين أصناف حرمان الانتفاع بأفضل نافع، فإذا حصل الإعراض عن ذلك غلب الهوى على النفوس؛ لأن الانسياق إليه في الجبلة، فتجنبه محتاج إلى الوازع، فإذا انعدم الوازع جاء سوء الفعل" [5] .

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [6]

الشاهد قوله تعالى: ﴿ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ الآية ، أن الفعل ذكر في هذه الآية تناسبًا مع سياقها " للاحتياط ؛ ويراد هنا أن يتعين كونه فعلاً ليفيد التجدّد أو اسماً ليفيد الثبوت ولا ندري لو حذف هل هو اسم أو فعل أو يراد به التعجيب كما ذكره السكاكي والطيبي" [7] والاحتياط الذي ذكره السيوطي بذكر المسند في سياقة ناتج من ضعف

(١) قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي ٥٩٨/١
(٢) تفسير أبي السعود، ٢/ ٤٤.
(٣) المائدة/٧١.
(٤) المائدة /٧١.
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٧٧/٦.
(٦) الزخرف/٩.
(٧) شرح عقود الجمان، ص: ١٠١.

القرين في الآية وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ الآية ، التي تدل على المحذوف لو حذف ، بجانب إفادة التقرير والتوكيد وتوضيح المعنى المقصود من ذكره وهو خلق الله للسموات والأرض.

المصادر والمراجع:

١- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٢- الأثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن الكريم، زهراء ميدي حمادي، جامعة الكوفة، بغداد، العراق، ٢٠٠٩ م.

٣- أساس البلاغة، الزمخشري، تح/ محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨.

٤- الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية د. عائشة عبد الرحمن، ط ١، مكتبة الدراسات القرآنية، دار المعارف.

٥- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت/: ١٤٠٣ه)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سوريا، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، ط٤ ، ١٤١٥ هـ

٦- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩ه)، علق على حواشيه / إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.،

٧- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥ه)، ت/ صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، (١٤٢٠ هـ).

٨- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت/ ٧٩٤هـ)،

ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٩- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، ٩٤/١، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م

١٠- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت/ ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤ هـ

١١- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت (د. ت)
١٢- الجملة العربية تأليفها وأقسامها ٠د/ فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون – الأردن، ١٤٢٧ ه.
١٣- جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، للعلامة الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران، تح/ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م.
١٤- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧.
١٥- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن حني، تح/ محمد بن علي النجار، الهيئة المصرية، ط ٢.
١٦- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني (ت: ٤٧١ ه)، تح/ محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٢، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
١٧- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت/ ٩١١ه)، ت/ د. إبراهيم محمد الحمداني، د. آمين لقمان الجبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م
١٨- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت/ ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٩- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د/طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ م
٢٠- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت/ ١٢٥ه)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط ١ – ١٤١٤ هـ
٢١- قطف الأزهار في كشف الأسرار، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت/ ٩١١ه)، تح/ أحمد محمد الحمادي، ط ١، الدوحة، إدارة الشؤون الإسلامية، ١٩٤٤ م.
٢٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٠٧ هـ

٢٣-لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (ت ٧١١ ه)، دار صادر – بيروت، ط٣، – ١٤١٤ هـ .
٢٤- اللفظ الذي يدل على المعنى ولولاه لم يتضح المعنى " الجملة العربية والمعنى (ط. ابن حزم) فاضل صالح السامرائي، دار ابن حزم، ١٤٢١ – ٢٠٠٠
٢٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت/ ٥٤٢ ه)، ت/عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١ – ١٤٢٢ هـ
٢٦- المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد، تح/ محمد حسين الياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان ط ١، ١٩٨٨.
٢٧- المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠—٢٠٠٠ ه،
٢٨-مفاتيح الغيب (التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي
الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت/ ٦٠٦هـ) / دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٢٠ هـ.
٢٩- المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب، الإمارات العربية المتحدة، ط١ ،١٤١٧ هـ
٣٠-من بلاغة القرآن، د أحمد بدوي، دار النهضة مصر، من صحيفة المثقف، ١٩٨٧ م.